DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة: www.muthuruk.mu.edu.iq

الأنساق المضمرة لسلطة المقدس في خماسية شمران الياسري

محمد عبد الحسين هويدي *

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/7/19

تاريخ التعديل : -----

قبـول النشـر: 2022/7/19

متوفر على النت: 2022/9/22

الكلمات المفتاحية :

النسق المضمر ، شمران الياسري ، الرواية ، سلطة المقدس

الملخص

تتناول خماسية شمران الياسري (الزناد ، بلابوش دنيا ، غنم الشيوخ ، فلوس حميد ، قضية حمزة الخلف) حياة الريف العراقي في إحدى القرى بدايةً من انتهاء حقبة الحكم العثماني ودخول الاحتلال الانكليزي الى سيطرة البعثيين على السلطة عام 1968 حيث يتعرض مجتمع الرواية الى تحديات وجودية كثيرة يكون محورها الصراع على الأرض والانتاج وتكون نتيجتها استغلال الفلاح وقمعه وإفقاره ، وتستعمل في هذه الحرب الخفية تارة والمعلنة تارة أخرى جميع الأسلحة المادية والمعنوية ، ومنها توظيف المقدس إذ تتم الافادة من أنساقه المضمرة في ترسيخ قيم وإقصاء أخرى ، والدراسة تبحث في تمظهرات تلك الأنساق وتشير الى طريقة توظيفها .

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2022

المقدمـة:

يحيل المفهوم اللغوي للنسق في المعاجم العربية الى فكرة التنظيم والتتابع وعطف الكلام على بعضه[1] ، وتقدم الفلسفة مفهوماً غير بعيد عن هذا التصور إذ يقوم على الفكرة ذاتها فالتنسيق لديه جمع الأفكار والنظريات الى بعضها فهو ((مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطا منطقيا حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة وهو أعم من النظرية))[2] ، ويعرفه بعض الباحثين بأنه ((مجموعة من العناصر لها نظام معين وتدخل في علاقات مع بعضها البعض لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد))[3] ، أما الإضمار فهو عكس الإظهار والتصريح وبجمع المفهومين يظهر مفهوم النسق المضمر؛ الذي هو كشف عن المترسب والمخبوء في البنيات الجمالية مستعيناً بالمناهج النفسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية ، وتكون النتيجة خطابٌ صنعته الثقافة واختفت فيه مركزية المبدع الخالق لأن مرجعيات أفكاره مخبوءة في سنن المجتمع وحياته الداخلية وليس هو إلا احدى تجلياتها فالعناصر المخبوءة في الثقافة هي التي صنعت النص .

ومن نافلة القول ان النسق المضمر هو المقولة الأساسية التي يعتمد عليها النقد الثقافي الذي عد من قبل بعض الباحثين جزءاً من النقد النصوصي والألسني العام[4]، لكنه يدرس ((الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة))[5] ، وتعد الثقافة الكامنة في لاشعور المؤلف من أهم تجليات المضمر[6] ، وعلى هذا الأساس يتم البحث عن الجملة الثقافية لا النحوية التي هي قليلة الظهور مقارنة بالجملة النحوية ، ولتبيين الحدود الفاصلة بين (المعنى الضمني) الذي يقدمه النص وبين (النسق المضمر) الذي يحويه لابد من الإشارة الى التميز الذي وضعه الدكتور عبد الله الغذامي المتمثل بالعنصر السابع الى جانب وظائف

*الناشر الرئيسي : E-mail : muhamed4524@gmail.com

ياكوبسن الستة وهو (الوظيفة النسقية) ، فعناصر العمل الشعري كما رأى ياكوبسن هي ستة تتمثل في ((المرسل ووظيفته انفعالية ، والرسالة ووظيفتها شعرية ، والمرسل إليه ووظيفتها إفهامية ، والسياق ووظيفته مرجعية ، والاتصال ووظيفته انتباهية ، والسنن ووظيفتها ميتا لسانية))[7] ، ولعل هذا التقسيم لا يحوي على ماله علاقة بالأنساق المضمرة وبذلك تكون اضافة الدكتور الغذامي هي بمثابة اضافة لوظيفة لاتتوافر في العناصر الستة السابقة ويصفه بقوله : ((يهيمن كشف البعد النسقي في الخطاب وفي الرسالة اللغوية وعليه تقوم منظومة من المصطلحات والتصورات التي نعتمد عليها في بناء التصور النظري والمنهجي لمشروع النقد الثقافي وعبر العنصر السابع ستتولد الدلالة النسقية))[8]

أولا : أنساق المقدس المضمرة

يشكل المقدس واحدا من الموجهات المهمة لحياة المجتمع الريفي وسلوك أفراده وهو موجهات لاشعورية كامنة داخل الفرد والجماعة على السواء ويمكن أن نلاحظ تجلياته من خلال الجمل الثقافية وما توحي به من معنى مضمر ، وبالتالي فإن وجوده في العمل الإبداعي يأتي على شكل لمحات أو جمل ما عابرة ترسل في النص السردي إرسالا ، أو فكرة تدور حولها مجموعة من القيم القارة في الأعماق ، وهو ما يلمح به الروائي بوعي من أو بدونه الى الفاعلية الثقافية لهذه الصيغ فهي تتعدى الموقف الحالي لتمتد الى قيمة ثاوية في أعماق اللاوعي ، وتقدم الخماسية مجموعة من الظواهر أو الجمل الثقافية التي تحوي المقدس ومنها :

1ـ أنساق التقديس الاجتماعي

تدور خماسية الياسري في الريف بوصفها خماسية رائدة اتخذت من الريف العراقي ميدانا لأحداثها ولم تخرج من مسرحه الى المدينة إلا نادراً ، وفيها نرى سلوك القرويين الذين يقدسون طبقة (السادة) الاحياء منهم والأموات فالسادة يحصلون على القداسة عن طريق (النسب) وهذا يوفر لهم حصانة اجتماعية ومكانة أعلى بين الناس وتختصر الأهزوجة الريفية التي ترد في الرواية هذه الفكرة **(أشلون ابن الله تطكونة؟)**[9] ويستثمر المجتمع الريفي هذه الفكرة أيضاً ليضع نفسه ضمن دائرة (قداسة النسب) فتأتي أهزوجة أخرى **(من كونه ابن الله انه ابن اخته)**[10]، وفكرة تقديس النسب معروفة جدا لدى الانسان في الحضارات القديمة ، وتعود لمجتمع الآلهة لدى السومريين ومنها انتقلت الى الفراعنة واليونان حيث يأتي النسب مقترنا أولاً بالعائلات الإلهية حيث يتزاوجون وينجبون في إطار مقدس وهم مرتفعون عن درجة البشر وبعدها بمرحلة يظهر الحكام والملوك الذين ينتمون بطريقة أو أخرى الى عالم الآلهة وعند ذاك ظهر التجلي الأول لقداسة النسب عند المجتمعات البشرية[11] .

واستثمارا للفكرة السابقة يفرض السادة (المقدسون) في عالم الخماسية وجودهم ويستعرض السارد العليم مشاهد من سلوكهم فهم يستوطنون أراضي القرية بلا استئذان ، لأن حصانة النسب تضمن لهم مكانة اجتماعية مرموقة ، وهنا تصور الرواية حلول السيد في المجتمع القروي ومايحدثه ذلك من متغيرات جديدة **(نزل القرية السيد محمد أبو شرارة ووجود السيد في قرية كهذه يكاد يكون لازما فإن لم تطلبه بحث عنها وحل فيها مكرماً وبنزوله صار للقرية ديوان يرتادونه عصرا)**[12] فالسيد يحل وينال موقعه الاجتماعي ويتحول الى موجه فكري ومركز ثقل مطاع في القرية ، ويصل خضوع الناس له احيانا الى التذلل أمامه وحتى تقبيل قدميه وهو ما يظهر في (فلوس احميد)[13]، وتظهر الخماسية اتكالية (السيد) وانتهازيته واعتماده على جهد الفلاحين وتعبهم فوقفوا **(محرجين، عندما طلب فالح بن سعدون أن تؤخذ من كل بيدر "كفة العلوية" للسيد محمد ابو شراره، فقد كره كل منهم أن يكون البادئ بالمعارضة، والسبب لقطع رزق "ابن رسول الله")**[14]، وصورة السيد هنا محل انتقاد وهجاء من السارد فالقداسة هنا لا توفر له حصانة تدفع سلوكه الرجعي وأثره السلبي اجتماعياً .

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

أما مخيال مجتمع الخماسية الشعبي المفعم بفكرة القداسة فيصنع رمزه الخاص عن طريق اختراع مزار لسيد وهمي يسميه (سيد سراب) ، وغير بعيد على الأذهان هذا الانتقاد الضمني فالسراب لايعني الماء بأي حال من الأحوال بل هو مجرد خديعة ، وهنا تظهر فكرة المزار الذي تبنيه القرية وهو في حقيقته مجموعة من الصخور التي جمعها (خلف) وتراءت لابنه الصغير (حمزة) وسط السراب على شكل قبة ، ومن هذه الحادثة يخلق المزار ويتخذ مكانا للتبرك والنذور والكرامات ففكرة القبة لم تولد إلا في عقل طفل وهي إشارة رامزة لمستوى التفكير الذي يصنع المقدس وهو لايستطيع إخراج الكلمات حتى ولو بصورة صحيحة نطقاً **(وكان حمزة يقاطعها معابثا : اللهم صلع .. اللهم صلع .. لاحت لحمزه تلك العلامة التي صنعها ابوه فوق الرابية، تراءت وسط لجة السراب كأنها قبة، اشار ناحيتها وسأل :**

- بويه.. بويه هذاك شنهو

- هذاك سراب

- لا. موش على السراب أنشدك، على هذاك جنة كبة ايمام؟

- هذاك؟! هذاك.. ايه مگام سيد سراب!! فضني)[15]، فالفكرة مثلما تبدو تنشأ على لسان طفل سرعان ما تتحول الى مقدس يستثمر عبرها الروائي تساؤل الطفل والحاحه على ابيه الذي يجيبه كيفما اتفق ليوضح السرد ان عقائد القرية كانت من انتاجها هي ، فعن طريق هذه الحكاية ينشأ مقام (سيد سراب) ويتحول الى مكان مبارك له منزلة عاطفية مائزة في نفوس القرويين حيث تجبى له النذور ويُقسم به ويُتبرك بجدرانه **(تراءى له موته مقرونا بمقتل فرهود .. اجهش بالبكاء، انكب على حائط مقام سيد سراب، تذكر اصل وجود سيد سراب ، ولكن يا خايب يا خلف الم تبتدع سيد سراب من خيالك لتحول دون ثرثرة حمزة ومعابثاته؟ الست من وضع اول حجر ليكون علامة لمجرى مقترح عهد ذاك؟ كيف غدت المزحة حقيقة.. وتحول الوهم الى و اقع ملموس؟ غرست بذرة وهمية من ثمرة خيالية وها انت تستظل بالشجرة؟! بنوا على المكان حائطا.. ولطخوه بالحناء من كل جانب.. والزوار لا ينقطعون.. وصار عبيد المنتاز سركالا على العلوة و "قيما" على المقام.. فيتو افد الزوار على بيته حاملين النذور.. دراهم، ودجاجاً.. وهاهم يتحدثون عن كرامات لا أول لها ولا أخر، تضاء شمعة من تلقاء نفسها في ليلة الجمعة وليالي الأعياد .. ولا زالوا يرددون "ما تنبي كبة الا على وجه صالح" وتتجمع القرائن والأدلة على أن في الأمر "سر")**[16]، بعد أن يجعل الروائي (خلف) يرى تلك المنزلة للمقام وهي تعلو وتكبر وينتهي هو نفسه الى التصديق بها وتتمم احلام (خلف) ذلك كله فتظهر له صورة رجل يرتدي عمامة خضراء راكبا حصانا سحريا وهو يهبط في تلك الأرض ليجد في ذلك دليلا قاطعا على صحة دعواه ، فالروائي يعلن هنا عن طريق رمزية (خلف) الى الفعالية الاجتماعية التي تصنع التقديس وتصدقه وهذه الفكرة الموارية تختزل تصور الروائي عن المقدس وطريقة تشكله لدى الانسان عامة عبر أنموذج (خلف العيدان) .

ويوثق الروائي إحدى أدوات شريحة (السادة) وحلول اللعنة بمن يسئ اليها وهو ما يسمى عند الفلاحين بـ (الشارة) او العقوبة الدينية العاجلة التي يسببها التعرض لمكانة السيد حيث نراه يصنع شخصية هي (السيد عزوز) تستقتل في اثبات هذه المنقبة وإن لم تكن تملكها أساسا فهي ترى في تحويل الموظف الحكومي من رتبة (قائمقام) الى (متصرف) بأنها عقوبة ربانية تدعي أنها صنعتها وهو يستغل جهل الفلاحين فـ (المتصرف) أعلى إداريا من (القائممقام) لكن السيد عزوز يرى أن مجرد رفعه من مكانه حتى لو كان ذلك على سبيل الترفيع الى منزلة أعلى هو (شارة) مادام الفلاحون لا يعرفون معنى ذلك !! **(سافر فالح الى أوربا واعتمد القائممقام وكيلا على مزارعه.. فصار يتجول ليلا ويتجسس على الفلاحين مثل اي "شحنة لگام.." وجد فرس السيد عزوز ترعى في البيدر، فكسر الخيزرانة على ظهر السيد، وحين عاد الشيخ من أوربا أُعجب بعمل القائممقام وسعى له عند وزير الداخلية فعينه متصرفا .. قال السيد عزوز: "بيك**

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

و انا اخو سكنه... شاره نگديه حسباله اتفوت بچيسه.. عثرة جدي" ولكن كيف يا سيد؟ أين موضع الشارة؟ لقد عين متصرفا وكان قائمقاما "يابه دروحوا.. حسبالهم أنه غشيم.. چان قيممقام الحي يگرك من كبر البشان هسه صار متصرف تايه مدري وين ماوين")[17].

ومن مظاهر التقديس للفئات الاجتماعية هي إثبات مبدأ الشفاعة للسيد وهو أمر قار لدى العقل الريفي ، الذي يعتقد بأنهم من (المُشفَعين)[18]، وتبدو ظاهرة أخرى هي ترهين حضور أرواح الأجداد والإيمان بخلودها حتى ترتقي لديهم لمرتبة القسم فيصبح جملة متداولة على ألسنتهم تستدعي كثيرا من احترامهم وتقديسهم لها ، وهكذا نجدهم يقسمون بروح الشيخ (مهلهل) وروح (حسين)[19]، ويتحول القسم الى شعار للعشيرة ، فتأتي جملة القسم **(وروح مهلهل)**[20]، ومن هنا يخلد الوعي الشعبي (الروح) ويقدسها ويفترض حضورها المعنوي الدائم والمستمر ، ويوفر الأصل المشترك للعشيرة شيئا من الحماية النفسية مستمد من جذر ثقافي مترسخ في حضارة وادي الرافدين يرتبط بقضية الموت والحياة وتجلياتها وماتركته من انطباع في المحتوى النفسي للفرد الريفي في خلود الروح وتلاشي للجسد .

2 ـ أنساق الإيمان بالجن والمخلوقات العجائبية والمعجزات .

يوظف الروائي عددا من ظواهر التقديس التي يختزنها المجتمع الريفي في وجدانه الجمعي ومنها إيمانه بالجن وقدراته الخارقة ، وتظهر في مسيرة العمل الروائي على شكل لمحات يفسر عبرها الافعال غير المألوفة ، فمثلا يعلق (خلف العيدان) عندما يشاهد خفة حركة ابنه (حمزة) **(صاح خلف بلهجة انكار تخفي شيئا من الإعجاب ببراعة ولده . ياجماعة هذا موش فرخ .. هذا جني .. بلابوش دنيا)**[21]، كما يأتي تشبيه الأشياء الغريبة بالشيطان[22]، ويتراءى أحيانا لهم (الطنطل)[23]، وتبدو مساحة الكون والطبيعة الشاسعتان واستشعار الفرد الريفي لصغره تجاهها، بعملية اندهاش مصحوب بالخوف والهيبة تعيد علاقة الانسان الأولى بما حوله فيظهر محتوى مخياله وفطرته ، ومما يعزز ذلك ان انسان القرية يحاول التأقلم مع محيطه وإعطاء تفسير للفضاء الشاسع وإيجاد علاقة تربطه مع الحيوان والطبيعة فيتوصل الى فكرة مفادها ان عواء (بنات أوى) ما هو الا لون من البشارة على وجود الحياة لذا نجدهم يكيفون انفسهم على التناغم معها **(ضج الفضاء بعواء بنات آوى، فلم يتطير أحد، لاعتقاد راسخ بين القرويين: أن الأرض كانت موحشة قبل وجود الإنسان. ثم آنس وحشتها عواء الواوي، الذي كان بمثابة البشير لخلق الإنسان. واستنفرت كلاب بيت حمزة فراحت تنبح في مكانها متوعدة..)**[24]

وتبدو المعجزات ظواهر خارقة للطبيعة تشكل عالم المقدس في المجتمع القروي وتكون بمثابة محتوى للعقل الجمعي تحركه بطريقة غير واعية ، والمجتمعات القروية غير معقدة التفكير وهي تتعاطى بعفوية مع ما يحيطها وتعتبر العالم الخارجي امتدادا لعالمها الداخلي وتصوراتها ويمكن أن نرصد عددا من تلك التصورات التي تشير الى عالم غني بالسحر والغرائبية فهي تأتي عند بعض الشخصيات على شكل تحقيق أمنية ما، مثلما نرى ذلك لدى (خلف العيدان) فوسط عالم الجوع والفاقة وانقطاع المطر ونزرة الموارد تتوق مشاعره الى المعجزة التي تحقق الغنى والشبع فهو يتوق الى معجزة تحقق ري أرضه ويحلم بها ويربطها بقدرة الله التي تحققت لأفراد كثيرين كما سمعها منهم ، وبذلك تشكل المعجزة جانبا من الحياة المقدسة التي تضم عالم الرغبات المستحيلة التي يظن أن بالإمكان الوصول اليها عن طريق المقدس **(خلع عباءته تمدد فوقها وسرح بصره حتى ذاب في خضرة زرع الديمة ساءل نفسه ألا تبدو أكثر انخفاضا من هورة البترا ؟ لوقدر لجدول البترا أن يخترق هذه الرابية لامكن إرواؤها سيحا لكن المسألة تتطلب عملا ، والصعوبة تكمن في الحصول على المال، رمق السماء بصعوبة، ودعا بخشوع: و انت القادر على كل شيء.. هل يصعب عليك تحقيق امنيتي؟ حوادث لاتعد ولا تحصى، ضرب الحطاب فأسه فأرتد وظهرت حافة "الكوز" المليء بالذهب فإذا هو مربوط بسلسلة.. وما هو**

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

أقرب من ذلك ورواه لي بنفسه، تبعت الغنم صبيحة يوم ممطر ورأيت شيئا يلمع اخذت منه القليل ورجعت فوجدت الكنز قد اختفي..)[25] فالاستعداد النفسي لخلق المعجزة وتقبلها وإضفاء المعنى عليها لدى الشخصية الريفية ووضعها في خانة المقدس حاضر ، وإذا أبعدنا جانب الإشارة التي أرادها (حمزة) لتقرير واقع حاله ووقوفه مرواحا في انجاز معاملته في دوائر الدولة البيروقراطية فأن النص المضمن يستحضر احتمال حصول المعجزة **(أول زيارة قام بها عمي "جودة" الى مرقد الإمام الحسين كان سيرا على الأقدام، وبين قريتنا ومدينة كربلاء مسافة لايقطعها الراجل بأقل من خمسة أيام. وصل عمي الى كربلاء متعبا ... وقف في مدخل الصحن مدهوشا ... رأي لقلقاً يقف على رجل واحدة فوق الهلال الذهبي الذي يتوج القبة ... واللقلق يتراءى في وقفته أقرب الى الوقار.. تطلع عمي جيدا.. فرك عينيه... لعله حسب وقوف اللقلق على هذا النحو لإداء مهمة، كأن يذكر الناس بتضحية الحسين، من خلال إظهاره الحزن الوقور... على اية حال.. تخلص عمي في غاية الأمر من حيرته . وأجمل كل الاحتمالات بعبارة محايدة، قالها بصوت خفيض :**

- لكلكك يا الحسين!

وكرر الزيارة بعد عام، وعند باب صحن الحسين طالعته صورة اللقلق، كما عهدها، في المكان نفسه، يقف على رجل واحدة، بلا حركة.. فتح فمه مدهوشاً وقال بتعاطف واضح، مع اللقلق:

- بعد عيني لكلكك يا الحسين !! ودخل الصحن، ثم دلف إلى الضريح، وهو مشغول الفكر بمعجزة اللقلق.. كتم مايدور بخاطره مؤثراً الانفراد بحيرته على استفهام قد يثير سخرية أو عو اقب لاتحزر.. وعند باب الصحن تطلع عمي نحو القبة، فداهمته صورة اللقلق، كما رآها أول مرة.. حينذاك تفجرت دهشته شعرا "وما عرف عنه قول الشعر من قبل أبدا" رفع كفيه وصاح بصوت جهوري، رددوا معي

- بعد عيني لكلكك، مظلوم مثلك يحسين رجل وحدة وماعجز محبوس سنتين)[26]

وتنتمي الاستخارة وهي لون من التوق الى معرفة المستقبل واستكناهه الى هذا اللون على الرغم من كون الاستخارة تتعلق بأمر سياسي عام وليس شخصياً وهذه الأمنية سياسية مرتبطة بمصير الحرب الدائرة بين ألمانيا (هتلر) والانكليز يعبر عنها باستخارة[27] .

ويعرض السارد التصورات التي يشكلها الأفراد حول القدرة اللامحدودة للمعجزة المتمحورة حول الشخصية المقدسة فيقدم العالم الروائي الكيفية التي مات فيها (غافل) أحد الفلاحين متجمدا من البرد وهو ينظر الى (ابن أوى) الذي يتبول فوق عباءته ويتمنى من (العباس) أن يمسخه كلبا لينتقم من (الواوي) فهنا تعرض الرواية الفقر والشروط القاسية لبيئة العمل والرغبة المأمولة من المقدس **(جاء الواوي وبال على عباءة غافل.. وهو ينظر.. ولا حول ولا قوة له.. جز على اسنانه ورمق السماء بنظرة ذليلة ودعا "وين العباس وين ابو فاضل بجاهك عد ربك.. كون يجلبني چلب، حتى اركض ورا هالميحوم والزمه، واكطعه اتگطع!")**[28]

وبعض المعاجز ينتجها اهل المعاجز انفسهم وتكون مقبولة ومتداولة في الوسط الفلاحي ذي التفكير العفوي لينال بها منتجها المكانة والحظوة الاجتماعية وقد لاتعدو ان تكون كذبة كما يشير الى ذلك الروائي **("ابو شرارة"، الذي يعيش على مجد غابر لا شاهد عليه الا ضميره - يقول والعهدة عليه حل الضيوف في ربعتي، وهم في عجلة لمتابعة مسيرهم الطويل، ولم تجد زوجتي نارا لإشعال التنور.. فوقفت بجانبه ونفخت فيه وحينذاك انطلقت من فمي شرارة اشعلت التنور، ومن هنا كنيت "ابو شرارة" أما فيما عدا هذه الآية فلم نشهد بالعين اية معجزة اخرى!)**[29]

ويختزن المجتمع الريفي الحكايات التي تضفي صيغ الكرامة على السادة وقدرتهم في ترويض الطبيعة لكن السارد يجعل الحكاية

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

هنا على لسان طفل ليخلخل مقدار صدقها لدى المتلقي **(تذكر غزو الجراد لزرع الديمة، كان صبيا لم يتجاوز العاشرة من عمره.. رافق والده لمساعدته على نثر "الجرود".. حمل قبضة من تراب، لا يتذكر أي "السادة" قرأ عليها تعويذة ضد الجراد .. او لعلها من ارضية مقام احد الاولياء.. وضعها فوق كومة من تراب استخرجها ابوه من حفرة بلغت ذراعين طولا ومثل ذلك عرضا.. أمره أن يمزج "الجروة فخلط التراب القليل بالتراب الكثير! ثم تعاونا على نثر التراب، في كل ركن من اركان الديمة .. ورحلت ارتال الجراد بفضل "الجروة")**[30]

3 ـ الأنساق المضمرة في الطقوس والشعائر والعادات المقدسة

تختفي مجموعة من الأنساق الثقافية المضمرة في طيات المقدس كما تظهرها الخماسية ففي الشعائر الدينية التي تتكلم عنها نلاحظ تمازجاً بين حضورين هما حضور الطقس الديني وحضور الجنس والعشق في طياته ، وهذا الارتباط يعود بهذه الفعالية الانسانية الى طقوس المعبد القديم لدى البابليين والآشوريين وممارساتها المختلفة[31] والفكرة هنا تقترب لكنها لاتتطابق فالمجتمعات القروية هي مجتمعات ذكورية تعزز وتدعم الانفصال بين الرجال والنساء وهذه المناسبات توفر فرصة للقاء لدى حالات لاتشكل ظاهرة لكنها إحدى تجلياتها ، وتعلل الرواية لدخول المتغير الديني برغبة القرويين بالتبرك ودفع الشر والوجاهة الاجتماعية وهو أبرز مرتكز مؤثر في الوجدان الشعبي ، فمثلاً يأتي (ملا علي الكربلائي) من خارج مجتمع القرية ليمايز في إداء موسم العزاء بين (الشيوخ) و(الفلاحين) في مدة النعي وفي موضوعه وكذلك في وقته ، وتتخلل الطقوس فسحة للتنفيس عن الكبت الجنسي وإزالة المحذور الاجتماعي لخروج الفتيات من بيوتهن والتقائهن بعشاقهن ومنهن ابنة الشيخ (حسنة) التي تلتقي بعشيقها (ناصر) ضمن تلك الظروف ، وحتى لايمعن القارئ كثيرا بهذا الربط الذي يبتعد كثيرا عن غرض المناسبة الدينية يعتذر العاشق قائلا **(لا اقصد التعزية بذاتها أفديك يا أبا عبد الله يابطل)**[32] .

وتقدم الدلالة السيميائية للون ضمن البنية النسقية المضمرة مجموعة من هذه الأنساق ومنها الإشارة الى الليل الذي يحاكي قلوب الأعداء ونواياهم السوداء في الوقت الذي ترتدي فيه النسوة البياض الكامل اللون الأخر المضاد الذي يرتديه مجموعة المواليين والأنصار وهو رمز الامل والنقاء ، وتعاضد هذه الفكرة المخبوءة في المضمر الطقوسي عدة تجليات لفكرة البياض والسواد يمكن أن نلاحظها في حياة مجتمع القرية فهما لا يقتصران على تلك المناسبة وحدها بل انهما يتعديانها ليشملا ليل القرية الدامس الذي يشير الى تخلفها الحضاري وإهمال السلطة لها مثلما يبدو بياض النهار مشيرا الى النشاط والحركة والشمس ، وتظهر في الرواية مقاطع عديدة تذكر فيها الغنم (حيواناتهم المحببة) ورمز الاستقرار المالي حيث يجري التغزل بها من قبل القرويين ، فالبياض هو دعوة لاشعورية للعدل والعودة الى الفطرة الاولى البيضاء التي اختفت خلف ستار الاطماع في العلاقات الاقتصادية المشبوهة التي انتهكت عذرية الانسان وبراءته الاولى .

كما ترتبط بعض الأنساق المضمرة بمواسم الحصاد فمن العادات التي اتبعها الفلاحون في الخماسية هي البدء بيوم الاربعاء وللبابليين والكلدانيين العراقيين دور في تأسيس قضية التبرك ببعض الأيام فهم أول من قسم الشهر القمري الى أربعة أسابيع والأسبوع الواحد الى سبعة أيام تبركا بالكواكب السبعة المعروفة لديهم ، وقسموا السنة الى ثلاثمائة وخمس وستين يوماً وربع اليوم وقسموا النهار الى أربع وعشرين ساعة وكانوا يربطون بين تقسيمهم الفلكي وبين التبرك ببعض الأيام لجمع الحاصلات[33] ويبدو أن ظاهرة التبرك مخبوءة في لاوعي الأجيال وماتزال فاعلة فالمجتمع القروي يبدأ الحصاد في يوم الأربعاء **(اليوم هو الاربعاء ألم تسمعي "يمحمد ربعه وسمينا" غالبية، الفلاحين باشروا الحصاد اليوم، اكتفى بعضهم بجز شتلات معدودات، ليكون في حل من أمر الحصاد في اي يوم شاء، ومن تأخر اليوم تحتم عليه الانتظار الى يوم الأربعاء القادم، حمل**

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

كل منهما منجله، تبعهما حمزة بلا دعوة)[34] ، فرصد الرواية لمواقيت الحصاد التي يجب أن تتم في يوم معين لاينبغي العدول عنه هي فكرة قديمة وقد مزجت بفكرة (التحليل والتحريم) الإسلامية حتى أصبحت مركوزة وقارة في الثقافة الشعبية الى الحد الذي يجعل الفلاحين الذين لايستطيعون الحصاد يوم الأربعاء يقومون بحصاد رمزي لبعض السنابل وهذا يبين فاعلية النسق المضمر المقدس .

كذلك تلمح الرواية الى النسق الذي فرضه الشرع الإسلامي عبر فريضة الزكاة ، فهم يرون أن ما ماتبقى من مؤونتهم من العام السابق لايجوز تناوله مع موسم الحصاد الجديد وهذا ما تعرضه الرواية عبر زوجة (خلف) التي لا تعرف تفصيلات هذه العادة الفقهية لكنها تعرف العادة المتبعة في القرية فقط وهي أنه لايجوز تناول البذور المتبقية من السنة الماضية عند بداية موسم الحصاد **(- ما يصلح على اهل البيت ياكلون طعام حايل لو بدوا بحصاد الجديد .. مدراه مدراه.. انت ما تعرف المدراه؟ - هذا بيا كتاب قريتيه ثواب للمرحوم والشافته عيني؟!)**[35]

ويبرز النسق المضمر عادة القرابين والأضاحي المقدسة بكونها عادة متجذرة في نفوس القرويين ونجد الروائي يتعرض لها في كثير من المواقع ضمن فعاليات النسق الظاهر للكرم ويكون ذلك في المناسبات العديدة كالأفراح والمآتم وفي عادة الترحيب بالضيوف من ذوي المكانة الاجتماعية ، أو رجاءً للتخلص من المصاعب والأهوال ورد الشرور[36] ، وتتحول هذه الفكرة الى نسق قار في ثقافتهم المحلية ، وهذا الامر يتعدى الكرم الاجتماعي المتعارف عليه لأن القضية مرتبطة بطقوس غائرة في الثقافة فكثيرا ما كانت الذبائح تقدم نذورا للإله في المعابد القديمة جلبا للتبرك ودفعا للشرور ونلمح الاشارات الثقافية التي تؤكد كون هذا الغرض قار في الثقافة الاجتماعية (**ذبح سويلم الصگر عجلا سمينا، ودعا أهل القرية كلهم على العشاء.. قال فاضل لخاله، وهو يتناول حصته من اللحم ... هاي الذبيحة لوجه الله، من شفناك انته وامك)**[37].

والعادة المستمرة لديهم والمحببة الى نفوسهم في الميل نحو العطور والحرص على اقتنائها لدى المجتمع الريفي مرتبط بالأماكن المقدسة والمعابد فالبخور والنباتات العطرية هي عادة متأصلة في العبادات المرتبطة بالمعبد والانثى والقرابين وحمأة الجنس فما يكاد أن يشم عطر المرأة (الحبيبة) حتى ترجع ذاكرته الى الأماكن المقدسة **(ملأ رئتيه من العطر الذي يذكره بزيارة العتبات المقدسة.. ولامس صدرها بشفتيه "البرجوازية غذره وهوه النظيف ابن المسلوك!".)**[38]

ويتجلى حضور المقدس كثيفا ومهيمنا في العادات الاجتماعية وسلوك الأفراد ومهماتهم ولذلك نرى (الراوي العليم) ينوه بمنزلة بعض الناس ويتولى شرح هذه العادة ليذكر بالنسق المقدس الذي تختضع علاقات الريف له فالأذن بانتهاء طقوس العزاء لايعلنه شخص من العامة بل يجب أن يتولى ذلك سيد او وجيه او ثري **(نهض من مكانه. وقف قبالة السيد الكربلائي. طلب منه أن يطوي طرف سجادة، ايذانا بانتهاء مجلس الفاتحة، وتلك مهمة لا يصلح لها الا علوي او وجيه محترم)**[39] .

ويعد الخوف من الحسد ظاهرة ثقافية مرتبطة بالمقدس وبالإله الذي يعاضد انصاره المطيعين وينزل لعناته على أعدائه وأعدائهم ليتحول في النهاية الى نسق قار في وجدان الريفي واحد مكونات عالمه الوجداني الذي يستدعي مخاوفه ، ويتساوى الجميع في هذا الخوف المرتبط بالشرور والمرض وزوال النعمة وغيره ، لذلك يستحضر الادعية والاوراد المعهودة التي تعمل على دفعه ويلجأ إلى الإله طلباً للمساعدة ، ويرصد الروائي ذلك وهو يقدم صوره التسجيلية الواقعية لمجتمع القرية ويجري أحداثه على لسان النساء اللائي كن أكثر اهتماماء من الرجال بتلك الأمور وينقلها بصورة حرفية **(كميلة التي تزور القرية لأول مرة عروس يصحبها زوجها "الخزاعي" ومع تزايد اهتمام النساء بـ "كميلة" وإظهار إعجابهم بفتنتها ... تزايدت مخاوف الأم من عيون الحاسدات ، وصارت تردد مع نفسها كلما دخلت البيت امرأة :"نحيرج الله ومحمد وعلي" وتتلو على نحو موصول دعاءها**

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

الأثير:"عين الحارة باردة .. بردها علي الفحل .. كف ياعين صاد .. كف ياعين صاد .."[40] ، وترتبط بما سبق عادة التطير ففي قضية حمزة الخلف تتطير الام من مناداة الطفل على ابيه حمزة عند سفره الى المدينة **(صوت عليه ولده الصغير مجبل : بابا لاتنس المرصعة ، تطيرت الام من هتاف ولدها و أنبته قائلة : لاينبغي لأحد أن ينادي المسافر عند الخطوات الأولى)**[41]

4 ـ استحضار الأنساق المضمرة في الشخصية المقدسة

وهو أمر قار في الثقافة الريفية فأمام العجز في مواجهة مشكلات الواقع تتوجب الاستعانة بالشخصيات الخارقة لتحقيق الطموح المنشود وإذا سلمنا بأن فكرة الصراع في الخماسية تدور الاستغلال الذي يتعرض له مجتمع القرية من قبل الشيخ الذي يستحوذ على ثلاثة أرباع المحاصيل أمام عجز الفلاحين عن الوقوف بوجهه وشعورهم المستمر بالعجز والاتكالية ، لذا يلجأون الى الاستعانة بالشخصيات المقدسة ذات القدرات الهائلة وهنا تلمح الرواية الى فكرة انتظار (صاحب الزمان) أي (المخلص) **(عتبي على هؤلاء الذين لا تربطهم بسعدون اية رابطة لماذا لا يرفضون وممن ينتظرون العون، ومن ذا الذي يطالب بحقوقهم نيابة عنهم؟ اجابة حسين ساخرا :**

- چا غير ينتظرون صاحب الزمان يطلع وياخذ حيفهم؟!)[42]

ويبدو أن استحضار الشخصية المقدسة في الدعاء منتمية الى تراث عميق يرى في القوة الجسدية حلاً وعلى هذا الأساس يُستحضر الإمام علي (عليه السلام) فبداية اليوم الريفي والاستعداد للعمل الجاد والتعب تجعل الدعوة مقرونة بشخصية تملك من القوة مايكفي لقهر الشدائد **(تناهت اليه دعوات الفلاحين الصباحية "اليوم يومك يا علي أصبحنا وأصبح الملك لله")**[43]، كما تساهم الشخصية المقدسة في تفسير الحاضر فمع عجز المجتمع الفلاحي عن فهم مستجدات الحضارة ومخترعاتها فإنها تلجأ الى تفسيرها بالمقولات المنسوبة الى الشخصيات المقدسة فدخول (الراديو) الى مجتمع القرية وهو كما يراه المجتمع القروي كومة من الحديد يخرج منها صوت انسان تدفع الى تفسيرها **(ليس ثمة مستحيل بعد الآن وقد امتلك الانسان سر عجن "الحديد" وقولبته كما يريد وحديث نبوي يقول إذا تكلم الحديد وقرب البعيد)**[44]، وتتنوع طرق الروائي في التناص مع المقدس شخصيات وأشياء فيشير الى (سجادة النبي) التي يحتفظ بها السلطان العثماني كمثال أعلى قيمة للأشياء المقدسة **(شنهي طركاعتك يابوية بليت الوادم بهالزناد الاكشر؟ اشصار؟ سجادة النبي الجان ضامها السلطان بخزنته؟!)**[45]

و لشخصية الامام الحسين عليه السلام حضور مائز في الخماسية نتيجة لما تعرضت له من ظلم اجتماعي وتنكر وخذلان ، فهي صاحبة دعوة الاصلاح بوجه الظلم التي انفض عنها الناس وتركوها لتقتل وتلقى في العراء لثلاثة ايام بلا غسل ولا كفن او دفن كما تقتضي احكام الشريعة الاسلامية ويستثمر الروائي هذا الإرث التاريخي الأليم والمأساوي لتلك الشخصية المقدسة ليقدمه مثالا عن تجاهل الشيوخ حضور مجلس عزاء الشخصية الثورية في الخماسية (حسين) **(.ولك.. الحسين ذاك ابن رسول الله ظل مطروح مدري اشچم يوم محد غسله.. كون هم بيها عيب على الحسين..)**[46] .

ويعيد الروائي عبر استحضار الشخصية المقدسة تفسير الحاضر بوساطة الماضي ويجري ذلك عبر مقارنة صور ابطال التاريخ القديم بأبطال الوقت الراهن مفيدا من الأثر المقدس الذي حفره موقع الشخصية التاريخية بالوجدان القروي ودفعه الى مناصرة الحركة الثورية الراهنة فيتخذ الروائي من ثورة المختار بن عبيد الثقفي ودعوته لثارات الحسين ممرا لمناصرة ثورة 14 تموز الإصلاحية بعد انتصارها للفلاحين من جور الاقطاع وممثليه **(بعث المختار ثانية ؟ واهل الكوفة أنفسهم يتصايحون : يالثارات الحسين ! وما الذي يريده ابن ناصر؟ هل ياخذ بثارات ابيه وعمه؟)**[47] كما يعيد حقيقة تاريخية مشابهة وهي حالة التناقض التي يعيشها المجموع الهائج ف

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

(الشعب نفسه فرهد خيام الحسين وعاد ثانية يصرخ يالثارات الحسين)[48] ، ويستمر استثمار حكاية المختار بعد انطلاق الثورة المضادة ومقتل الزعيم ، فيصورها للعقل الريفي بمثابة مقتل للمختار على يد ثائر جديد ، فدورة التاريخ مستمرة مع عدم ايمان بتحقيق العدالة في دوامة العنف المتبادل **(استاء صالح من لفظ "ثورة" وحاورنفسه : في كل يوم ثورة .. هل جاء دور المختار ليقتل على يد ثائر جديد ؟ ولابد أنها باسم الشعب كذلك)**[49]

ثانياً : توظيف الأنساق المقدسة سياسياً :

هناك مجموعة من الأنساق المضمرة المقدسة التي تحاول السياسة استثمارها لمصالحها الخاصة ومن أمثلة تلك الأنساق التي عرضتها الرواية ما استثمره (الاحتلال التركي) لنسق مضمر لدى الشخصية الريفية وهو نصرة الحاكم المسلم والدفاع عن الدولة الإسلامية وهو ما استدعاه الاستعمار التركي عبر مناداته بفرضية دينية هي (الجهاد) ، فمفهوم الجهاد الديني ينبني على الرابطة الدينية العابرة للحدود الوطنية فالدين لايعترف بالوطنية ولا بالحدود الإقليمية أساساً ، لذلك تعاملت دولة الاحتلال التركي مع العراقيين كرعايا عليهم واجب الدفاع عنها (الجهاد لحماية حكم العثمانين)[50] ، كما تظهر الرواية مراوغة الاتراك في توظيف (الجهاد) ومعناه ، فتارة يدعون الى الجهاد مع الانكليز واخرى يفتون ضدهم وهذا مما لا يفهمه العقل الفلاحي **(انه ليس بالضرورة ضد الانكليز .. فقد يكون الى جانبهم اذا اقتضت مصلحة الدين، هكذا أجابه الشيخ محمد رضا.. ثم اكمل السيد قول صاحبه: يصبح الجهاد واجبا حيثما تعرض الدين للخطر.. والدين في هذه الايام عرضة لخطر شديد... ومع ذلك يا ابو مهيدي يرفع "حمود بن شنين" رأسه وسط الديوان ويقاطعني بقوله مولاي انته جذاب ويأتي بالدليل على كذبي .. كذبي انا؟ تصور! فيقول: لو كنت مخلصا لدعوتك، لما اقمت المآتم الحسينية في بيوت الفلاحين وتقاضيت اجرك من غلة الأرض المغصوبة وتضرب الثريد صباح مساء في بيوت الفلاحين، و أنت عليم بأنه من انتاج تلك الأرض المغتصبة)**[51]

ويحاول ممثلو السلطة السياسية وأنصارهم أن يستثمروا أنساق المقدس المضمرة لخدمة مصالحهم الخاصة فيلجأون الى تبرير الفارق الطبقي بين الناس فيربطونه بنسق قار في الثقافة المحلية وهو (الرزق) وبالتالي يصورون الفقر بأنه مشيئة من الله وليس أنانيةً واستغلالا من قبل بعض الفئات المتسلطة على حساب أخرى عبر إدارة الخطاب المقدس وتوجيهه ويظهر النص الآتي انتصاراً للنسق ومهارة رجال الدين في استغفال الفلاحين **(انحرف مسار الحديث، دون قصد سابق، عن الفقر والغنى، فعرض السيد وجهة نظره: ان الرزق من الله مطلقا، ابتداء بحبة القمح التي ترزقها النملة.. و انتهاء بمقاطعة بيت مهلهل ، ضحك فاضل وتعجل الإجابة: لو صح هذا لانتهينا بالضرورة الى التسليم بأن المومسات اللائي يستقبلن عددا أكبر من الزبائن، قد كتب لهن رزق اوفر من زميلاتهن اللواتي حرمن تلك الليلة من الزوار... وعلى اللصوص ينطبق نفس المثال ... تمسك السيد الكربلائي بالحلقة الضعيفة، فتوجه للحاضرين محتكما: أيصح اقحام اسماء المومسات وقطاع الطرق واللصوص على اسم الله عزوجل؟ ، نفض الحاضرون أثوابهم وتداخلت أصواتهم "استغفر الله.. استغفر الله.." ولما انبرى فاضل لتوضيح قصده، كان السيد قد كسب الجالسين لصفه . وتلك بغيته . ولتكن الحقيقة فيما بعد مجهولة أو معلومة، ظالمة أو مظلومة، فقد تعلم ولمس باليد من خلال تجاربه، أن قمة النجاح في النقاش كسب السامعين ساعة الجدل، وبأية وسيلة، ولاعبرة في أن تكون الحقيقة من جنس الذكور او الاناث، ثم ماهي الحقيقة ؟ لقد ساعل السيد نفسه أكثر من مرة فلم يهتد الى جواب)**[52]

واستثمر مناصرو السلطة السياسية نسق الطاعة والإذعان بعد أن اجتلبوه من المقدس وجعلوه أحد أدوات السيطرة وضمان الاستغلال لصالح الأغنياء ومواجهة الفكر الجديد الذي

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

يدعو الى العدالة في توزيع الثروة ، ويقدم الروائي ذلك الصراع بين الأنساق القارة والمجددة عبر رؤية درامية تحتشد فيها المقولات الثابتة المتعارف عليها في كون الحاكم موضع الرأس من الجسد وأن انفراطه يعنيني الفوضى، ويرجع دواعي الافراد الى الثورة والاحتجاج الى موضوعة (الحسد) المنهي عنه **("وأطيعو الله والرسول وأولي الامر منكم" ... على انها دعوة للعشيرة بعدم مخالفة رئيسها - ابن مهلهل - الذي هو بمثابة الرأس للجسم .. وتساءل عن حال الدنيا اذا افتقدت سيطرة اهل الحل والربط .. وما الذي يحل بالناس اذا اداروا ظهورهم لأهل التجربة والعقل ؟ ثم أفاض بالحديث عن الحسد ومساوئه : أن تحسد من رزقه الله فكأنما تعترض مشيئة الله .. وتعصي ارادته.. وبالتالي فهو الكفر بعينه .. استغل السيد الكربلائي حصانته فوق المنبر، فتكلم بما يكفي)**[53]، وهنا يوظف التراث الديني أنساقه المضمرة رغبة منه لديمومة التسلط فعن طريق شيخ الدين (علي) المقرب من (شيوخ القبائل) والمستفيد من حاصل الارض بلا تعب او جهد تأتي دعواته بضرورة طاعة ولي الامر الذي يقرن طاعته بالله ورسوله حفاظا على النظام الاجتماعي في القرية ، لكن استثمار مراوغة هذا النسق يتولى الملا (نعمة) الشيوعي كشفها فالأولياء الذين ينوه بذكرهم الشيخ (علي) لم يأتوا بإرادة الناس فالملك ورئيس الحكومة و(ال مهلهل) أتوا بالجبر والاكراه وافعالهم لم تأت الا بالموبقات والفواحش التي تعدت العرف الفلاحي وبالتالي تكشف الرواية من خلال رد (الملا نعمة) الإشارة تهافت استثمار النسق المضمر .

ويورد الرواية في بعض مفاصلها حقائق قارة في لثبوت الأنساق في المجتمع الريفي والمديني وهي عدم التسامح بالخروج عنه أو تبني اتجاها مغايرا له وهنا تشير الرواية عن طريق (عبيد المنتاز) . السجين السابق . الى حادثة سُجن فيها ثلاثة أشخاص بسبب (اختلاف ملتهم) واختلاف الملة حسب فهمه تتجلى في الدعوات الإصلاحية الى المساواة في توزيع الثروة والأرض بين الناس ، والرواية هنا توثق لدخول الفكر الاشتراكي (الشيوعي) وتشرح مفاهيمه ببساطة للمجتمع الفلاحي لكن هذا المجتمع المحافظ يهجس بشعوره الثابت مقدار الخطورة **(ثلاثة من السجناء اعلنوا العصيان على ادارة السجن وسببوا المتاعب للمدير ورفضوا حمل ذرة من تراب.. يزعمون أنهم ليسوا سجناء... تركزت اسئلة ملا نعمة حول هؤلاء الثلاثة .. ويجيبه عبيد: ان تهمتهم غامضة.. يقول المدير ان ملتهم غريبة.. ويتساءل ملا نعمة؛ بسبب من غرابة ملتهم يسجنون؟ ... يكَول المدير ذوله "ملة المسكَوف" يريدونها سوا لاغني ولافقير ولافلح ولاملاج ... تساءل ملا نعمة وهل فيما يدعون اليه منكرا ... النبي بدا دعوته لوحده ... فضجت ربعة خلف بأصوات الحاضرين . استخفر الله استخفر الله هاي وين وذيج وين ... خرج جودة عن صمته لأول مرة وقال : ذوله يحجون تسعة بالشهر ! الله ماساوا خلكة ... أصابعك كلهن سوا؟!)**[54]

ثالثاً : الاحتجاج على الأنساق المضمرة المقدسة

تظهر الخماسية استثماراً لسلطة الأقطاع لأنساق المقدس المضمرة من أجل غاية واحدة هي الحفاظ على المزايا والمصالح الاقتصادية حصراً ، وهذا ما نلمحه من بداية جزئها الاول فالفلاحون يلاحظون دائما ميل رجال الدين في القرية الى الارتباط بـ (الشيخ) ونيل الحظوة لديه وهم لاينتصرون للفقراء بل يتنافسون في التقرب الى بيت (آل مهلهل) ويظهر ذلك في مواطن عديدة من الرواية ، ومنها الإطالة في قراءة (موقعة الطف) في بيوت (الشيوخ) في حين تختصر تلك القراءة وتختزل في بيوت الفلاحين ، ومنها حرص بعض رجال الدين على عقد قران (فالح ابن الشيخ سعدون) وعدم ايلاء اهمية لقران (ناصر بن حسين) الفلاح .

ومثلما تكون هناك انساق للاندغام والتماهي بالمقدس فهناك احتجاج مضمر على الأنساق المستمدة منه كاحتجاج (حسنة ابنة سعدون) **(اسكتي فكينا من سالفة الله . بعد عيني عينه . وين البطلي يصاحبه)**[55]، ويبدو الاحتجاج المباشر من (حمود بن شنين) الذي يقسم بالسموات السبع والارضين الست **(ثم**

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

يوضح: بأن إحدى "الارضين " لآل سعدون وبيت المهلهل ولذلك يحلف برب السموات والارضين الست!)[56]، ويصل الأمر أحيانا الى حد التجديف فـ(حمزة الخلف) يوصي زوجه عند السفر **(لايغشكم القمر فما أكثر السرقات في الليالي المقمرة ، قالت الزوجة : الله هو الحارس ، أجابها بدعابة مألوفة منه : كل الذين سرقت بيوتهم كانوا قد توكلوا على الله وناموا ..!)**[57] ، وفي مناسبة أخرى يعبر عن انزعاجه من مراجعاته المستمرة في دائرة الاصلاح الزراعي للحصول على إذن لسقي أرضه من دون فائدة **(أجاب دون أن يلتفت اليها**

. أنا صرت مثل الله .. كل يوم هو في شأن !!

فأنكرت غلي ذلك بقولها

. استغفر الله .. استغفر الله .. اترك الكفر ياحمزة)[58]، ونحن نستطيع أن ننسب المقطع السابق الى الروائي لا الى وعي الشخصية الروائية فمن أين لشخصية لاتجيد القراءة والكتابة ان تحاجج بالقرآن الكريم !! ولذا تبدو نبرة الاحتجاج التي يلبس الروائي بها الشخصية بادية واضحة ، والى جانب ما سبق فليس هناك تسليم مطلق بالأنساق المضمرة القارة التي تسير مجتمع الرواية ، فنبرة الاحتجاج على المضمر المقدس تأتي من خلال الاحتجاج على ممثليه ومنها إلصاق صفات (الجبن) بهم فتعرض أحدهم وهو يخشى التبول في خارج الدار خشية من الكلاب ، كما تلصق صفات (البخل والشراهة) و(استباحة حقوق) كامتناع الشيخ (صالح) إمام المدينة عن دفع أموال (جودة) عند مطالبة ابن أخيه (حمزة الخلف) بها **(وكان من بين الأقاويل أن عمي كان يولي ثقته للشيخ صالح . إمام المدينة . ويودع عنده النقود ، فذهبت باستحياء وسألت الشيخ صالح .. فسبح كبر واستغفرودعاني أن أستعيذ بالله من كل وسواس وظن)**[59] .

وتلصق الخماسية أيضاً صفة المراوغة برجال الدين الذين يستعملون لغة خاصة بهم لايستطيع الآخرون فهمها يمكن أن نسميها لغة (الشفرة) وهم يعرضون بالضحية ويسعون الى استغلالها (**فقال الشيخ محمد رضا بلغة الموامنة : سوش خيدي. سداس ميدي.. اجابه السيد: سنده عيدي.. سوش خبدي.. سلوس فيدي..)**[60]، ثم يتولى الروائي توثيق وشرح (لغة الشفرة) التي يعد هو مصدر نقلها من الريف ويقدم هامشا للقارئ في معناها يظهر من خلاله احتقار رجال الدين للفلاحين وسعيهم لاستغلالهم ، فيقول : (**لست في معرض الحديث عن هذه اللغة ونشأتها.. لكنني . مطلع . على "اسرارها!" تتلخص برفع الحرف الأول وجعله في آخر اللفظ مضافا اليه: "ي" و"د" و"ي" ويحل محل الحرف الأول دائما حرف "س" ، خوش مداس.! عنده خوش فلوس)**[61] .

، كما يحرص الروائي الى فضح تلك الشخصيات عبر اللمز بالعلاقات الجنسية المحرمة بينها وبين (الشيوخ) فـ(زينة) (المرأة اللعوب) في الرواية هي ابنة السيد (علي الكربلائي) وقد كانت لها علاقة خفية مع الشيخ (ضاري) بعد أن رأها فجأة فأعجبته أنوثتها **(انحرفت السيارة الى بيت ملا علي، كاتب الشيوخ، وقفت عند باب الحوش الموارب، لمح الشيخ الصغير "زينة" بنت ملا علي وهي تعدو مسرعة لتختفي وراء الباب، وقد ابرز الثوب الشاف مفاتن جسمها، الذي اوشك على النضج ،فاستاء ضاري من غفلته وعاتب نفسه: كيف اهملتها من قبل ولم اتبين فتنتها.. وما اكثر رواحها ومجيئها للقصر.. انها استحقت اسم "زينة" بجدارة)**[62]، وتؤكد الرواية هذا التوجه في هذه العلاقات اللاشرعية فتظهر أن (ام زينة) كانت عشيقة للشيخ (فالح) والد (ضاري) في الوقت نفسه تشير الرواية الى أن (زينة) هي ابنة الشيخ (فالح) سفاحا وأصبحت عشيقة لولده الشيخ (ضاري) فيما بعد ، والروائي يجري حوارا داخليا على لسان (الام) يجمع فيه أطراف الحكاية من أزمنة متعددة على سبيل التداعي وهي تحاول تكذيب ظنونها بان ابنتها هي من الشيخ (فالح) وعشيقة ابنه في الوقت نفسه **(اوشكت السيارة على الطيران. تكورت ام العروس مرعوبة في ركن المقعد الخلفي: يا حافظ ياحفيظ .. الحافظته أمه .. حافظتها أمها، الشبه كبير بينهما لا يخفى على اقل الناس إدراكا.. جاء على ابيه حين من**

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

الدهر جن بي .. لم ينقطع عني حتى بعد أن حرمت زوجته دخولي إلى الحوش، ياساتر، وعلاقتهما تبدو واضحة اعرف هذا يا ساتر.. دشوفوا ابليس المنعول مالگى غيري يلعب علي .. كان لا يأتي الا وهو سكران هذا يعني .. "لا هذا حجي .. عفوك يا مانع الردى"، المانع حديث الاستعمال.. يا مانع الردي يا الله "المنعول ابليس مالگى غير هالساعة يلعب علي.." الم يكن لي زوج؟ "بأذانا كطن. لا. زينة بت ابوها وچاد. بت ابوها")[63] .

ويظهر الاحتجاج على النسق المضمر المقدس من خلال اظهار السلوك الإزدواجي لرجل الدين وهو ممثلاً بـ (السيد علي الكربلائي) وتبريره لعنف السلطة والشيوخ ضد الفلاحين والفقراء الذين أرادوا زراعة أرضهم لكن الحكومة قصفتهم على إثرها حيث شبه الطائرات التي قصفت بيوت الفلاحين بـ (الأبابيل) وهنا تقوم الرواية بالتعريض به فتهمه بعدم النخوة لشرف زوجته التي عاشرها الشيخ (فالح) **(ولكم طير الأبابيل الجديد يسوقه ظالم ليحصد المظلومين ياسيد علي الكربلائي!! اسرار لا تدركها انت ولا حتى انا .. قالت له يريد أن "يغتصبني" فأجابها لا تدركين مراميه ومقاصده ، "ولك صخمني" ، ودار حول قبة الطين ولطخها بالحناء.. يداس بالأقدام ياسيد علي الكربلائي؟! لم ار فالحا يدور بطاسة حناء يلطخ بها جدران المقامات .. ولم يذهب لزيارة العتبات المقدسة.. لكن غافلا كان يجمع محصوله السنوي ليسد نفقات الزيارة بعد أن تأخذ خمسها يا سيد علي الكربلائي.. كيف ينبت جناح لطير الأبابيل حتى يرمي الكعبة؟!)**[64]، وهنا تأتي صرخة الاحتجاج في الرواية **(كيف ينبت جناح لطير الأبابيل حتى يرمي الكعبة؟!)** بعبارة أخرى كيف يمكن للمقدس أن يكون أداة لخدمة الظلم ؟ فالدور الذي يقوم به (السيد علي الكربلائي) هو اشبه بتخدير المجتمع الفلاحي في القرية .

لايقتصر التشكيك بالشخصية الدينية وحدها وإظهار ازدواجيتها ونفعيتها ، بل ان الروائي يجعل منها بابا لكل من يريد الضحك على الآخرين واستغلالهم فتورد في الرواية شخصية السائق الذي يعرف بـ (حجي خضير) الذي يتظاهر بالتقوى والصلاح من أجل خداع الآخرين والاستيلاء على ثرواتهم ، وهنا نراه يحرص على رصد حركاته الطقوسية **(كان الحاج خضير قد اتخذ هيئة الوقور المقل بالكلام يعد حبات المسبحة بتأنٍ .. حتى إذا غربت الشمس تناول الأبريق وتوظأ .. ثم تعمد الصلاة خارج الربعة ، قلت له الجو بارد يا حاج ادخل في الربعة ، فأجابني : الصلاة في فضاء الله الواسع تمنح المرء قدرة أكبر على تأمل هذا الصنع المحكم البديع)**[65]، وهو يعلمهم أصول زيارة المقامات **(وترجلنا عند مقام سيد سراب ، فتلقينا على يد الحاج درسا في أصول الزيارة ، دون أن يقول ذلك ، فبدلاً من التوجه نحو الضريح مباشرة كما كنا نفعل ، صلى أولا ركعتين ثم دار حول الضريح فهمست زوجتي بإعجاب : لكل شيء عند الفاهمين أصول)**[66]، ولكنه في النهاية بعد أن أتقن خدعته قام بسرقة غنم (خلف) وهرب **(لقد اكتشفنا آثار الغنم في البيت يوم أمس ولم نكتشف السر الا بعد أن علمنا أن خضيرا "مساعد السائق" قد أخذ الباص من صاحبه وهرب به الى بغداد)**[67] .

ويدخل الروائي كلون من الاحتجاج على المقدس ما يسمى بمبدأ (التقية) فيجعله على شكل محاورة خيالية بين (ملا نعمة) وأبيه فيرى أنها حيلة الجبناء والضعفاء **(انني أمقت هذا القول لأنه فضفاض لا تحده حدود .. فقد يحتمي به الديوث .. يرى القوي يدوس فراشه ويغتصب امرأته .. ويتطامن الى هذا القول المطاط الذي يتسع لكل شيء .. يردده بمذلة ومهانة "التقية واجبة")**[68] . ومن خلال مجموع هذه الإشارات تظهر صرخات الرفض للجوانب التي تستثمرها أنساق المقدس المضمرة لاستمرار .

الخاتمة والنتائج:

من خلال ما سبق لاحظنا دور الأنساق المخبوءة في الخطاب الروائي وقد تشكلت تلك الأنساق على وفق مجموعة أنماط منها نمط التقديس الاجتماعي لفئات وشرائح اجتماعية بعينها يبررها

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

رابط النسب ومنها الإيمان بالمخلوقات العجائبية التي يتم استحضارها مع كل فعل خارق وغير مألوف ، ومنها أنساق ضمتها الطقوس والشعائر المتوارثة والفاعلة اجتماعياً التي ترسخت كعادات وصلت الى مرتبة القيم ، ومن الطبيعي أن تتم عملية استثمار مفاعيل تلك الأنساق لخدمة مصالح الجانب الأقوى اجتماعياً ، وفي مقابل هذا الاستثمار نجد التمرد والاحتجاج الموجه أساساً الى موضوعة الاستغلال فرغبة الإنسان بالبقاء على وفق الوجود الطبيعي والفطري تكسر مقولات النسق في بعض الأحيان بطرق مختلفة .

الهوامش:

1 ـ لسان العرب لابن منظور ، مادة (ن س ق).

2 ـ المعجم الفلسفي جميل صليبا 361/2 .

3 ـ موسوعة لالاند ، أندريه لالاند ، تعريب جلال أحمد الخليل ، 3 / 1417 .

4 ـ ينظر : النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية ، 83 ـ 84 .

5 ـ نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة) ، د جميل حمداوي ، 14 .

6 ـ النسق الثقافي (قراءة في أنساق الشعر العربي القديم) ، يوسف عليمات ، 11 .

7 ـ ينظر : قضايا الشعرية ، رومان جاكوبسن ، تر محمد الولي ومبارك حنوز ، 33 .

8 ـ نقد ثقافي أم نقد أدبي ، د . عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف ، 26 .

9 الزناد ، 18 .

10 الزناد ، 18 .

11 ينظر : حضارة بابل وآشور ، 90 ـ 100 .

12 الزناد ، 85 .

13 ينظر : فلوس احميد ، 122 .

14 الزناد ، 150 .

15 الزناد ، 77 ـ 78 .

16 بلابوش دنيا ، 42 .

17 بلابوش دنيا ، 122 .

18 ينظر : بلابوش دنيا ، 145 .

19 ـ ينظر : بلابوش دنيا ، 156 .

20 الزناد ، 14 ، 20 ، 54 .

21 الزناد ، 29 .

22 الزناد ، 30 .

23 الزناد ، 18 .

24 قضية حمزة الخلف ، 120 .

25 الزناد ، 54 ـ 55 .

26 قضية حمزة الخلف ، 26 ـ 28 .

27 بلابوش دنيا ، 28 ـ 29 ، .

28 بلابوش دنيا ، 33 ، .

29 بلابوش دنيا ، 193 .

30 غنم الشيوخ ، 27 .

31 ينظر : حضارة بابل وآشور ، غوستاف لوبون ، تر محمود خيرى المحامي ، 89 .

32 الزناد ، 54 .

33 ينظر : حضارة بابل وآشور ، 56 و 59 .

34 الزناد ، 76 ـ 77 .

35 الزناد ، 78 .

36 ينظر : فلوس احميد ، 95 .

37 بلابوش دنيا ، 176 .

38 غنم الشيوخ ، 113 .

39 غنم الشيوخ ، 61 .

40 فلوس احميد ، 71 .

41 قضية حمزة الخلف ، 6 .

42 الزناد ، 93 .

43 الزناد ، 164 .

44 بلابوش دنيا ، 21 .

45 بلابوش دنيا ، 49 .

46 بلابوش دنيا ، 105 .

47 بلابوش دنيا 190 .

48 بلابوش دنيا ، 191 .

49 فلوس أحميد ، 56 .

50 الزناد ، 99 .

51 فلوس احميد ، 127 .

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

52 بلابوش دنيا ، 61 .

53 غنم الشيوخ 59.60 .

54 الزناد ، 176.177 .

55 الزناد ، 151 .

56 غنم الشيوخ ، 64 .

57 قضية حمزة الخلف ، 5 .

58 قضية حمزة الخلف ، 143 .

59 قضية حمزة الخلف ، 235 .

60 فلوس احميد ، 122 .

61 فلوس احميد ، 122 .

62 بلايوش دنيا ، 77 .

63 بلايوش دنيا ، 125 .

64 بلابوش دنيا ، 32 .

65 قضية حمزة الخلف ، 249.250 .

66 قضية حمزة الخلف ، 261 .

67 قضية حمزة الخلف ، 264 .

68 بلابوش دنيا ، 53 .

المصادروالمراجع

- بلابوش دنيا ، شمران الياسري ، مطبعة الرواد ، بغداد ، ط2 ، 2007 .
- حضارة بابل وآشور ، غوستاف لوبون ، تر محمود خيرى المحامي ، الرافدين ، بغداد ، د.ط ، د ت .
- لسان العرب لابن منظور الأفريقي (ت 711هـ) دار صادر ، ط1 ، بيروت ، 1990 م .
- الزناد ، شمران الياسري ، مطبعة الرواد ، بغداد ، ط2 ، 2007 .
- غنم الشيوخ ، ، شمران الياسري ، مطبعة الرواد ، بغداد ، ط2 ، 2007 .
- فلوس حميد ، شمران الياسري ، مطبعة الرواد ، بغداد ، ط2 ، 2007 .
- قضية حمزة الخلف ، شمران الياسري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2005 م .
- قضايا الشعرية ، رومان جاكوبسن ، تر محمد الولي ومبارك حنوز ، توبقال ، الدار البيضاء
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية / 2 ، د جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م .
- موسوعة لالاند ، أندريه لالاند ، تعريب جلال أحمد الخليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، 2001 م .
- نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة) ، د جميل حمداوي ، الشاملة الذهبية ، ط1 ، 2006 م .
- النسق الثقافي (قراءة في أنساق الشعر العربي القديم) ، يوسف عليمات ، عالم الكتب الحديث ، 2009 م .
- نقد ثقافي أم نقد أدبي ، د . عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيف ، دار الفكر ، دمشق ، 2004 .
- النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية) المركز الثقافي العربي ، بيروت .لندن ، ط3 ، 2005 .

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832

Abstract

Shamran al-Yasiri's quintet (Alzenad, Balabush Dunya, Ghannam Al-Sheikh, Flous Hamid, Kadeat Hamza Al-Khalaf) deals with the life of the Iraqi countryside in a village, starting from the end of the Ottoman rule and the entry of the British occupation to the Baathists' control of authority in 1968, where the community of the novel is exposed to many existential challenges Its focus is the struggle over land and production, the result of which is the exploitation, oppression and impoverishment of the farmer. In this hidden war sometimes and declared at other times, all material and moral weapons are used, including the use of the sacred, as its implicit systems are used to establish values and exclude other, and the study examines the manifestations of these systems and refers to method of employing it.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1818-1832